مستخلص البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا بحث درسنا فيه جانبا من آثار لغوي كوفي كبير وإمام في النحو هو المفضل بن سلمة (أبو طالب النحوي) في معجم لسان العرب، عاش هذا العالم في القرن الثالث للهجرة، وله مصنفات وآثار تدل على سعة علمه وتبحرّه في اللغة.

قُسّم هذا البحث على مقدمة ومبحثين:

درسنا في المبحث الأول حياة هذا العالم بشكل موجز وتعرفنا بوالده وابنه وشيوخه وتلامذته ومصنفاته ومذهبه النحوي، أما المبحث الثاني فقد خصص بدراسة بعض آثاره في معجم اللسان، وقد جاء هذا المبحث بثلاثة مطالب:

الأول كان في الاشتقاق، والثاني في الكليات وشمل الفروق اللغوية وتخصيص العام، أما المطلب الأخير فدرسنا فيه ما خرج عن أصل الوضع اللغوي وشمل المجاز والاستعارة والكناية.

ثم أتبعنا ذلك بخلاصة نتائج البحث، ثم قائمة بالمصادر والمراجع.

المقدمة

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وعلى من أثرهم اقتفى، أما بعد:

فإن من مقومات قيام الأمم والشعوب وتطورها وازدهارها هو اللغة، لأنها الرابط الذي يوثق عرى التعاون والانسجام والتجانس بين أفراد تلك الأمة أو ذلك الشعب، لذلك يقع على هؤلاء الأفراد واجب الحفاظ على أصالة لغتهم وعدم ضياعها واندثارها.

واللغة العربية إحدى اللغات التي نهض لها رجال أسهموا في حفظها إلى جانب حفظ القرآن الكريم والحديث الشريف.

ومن هؤلاء الرجال الذين كانت لهم بصمة واضحة وأثر جليّ في حفظ تراث هذه اللغة هو المفضل بن سلمة المعروف بأبي طالب النحويّ، فلقد استطاع هذا العالم أن يشق طريقه ويعزز مكانه بين دهاقنة اللغة في القرن الثالث للهجرة أمثال الأصمعيّوابن الأعرابي وابن السّكّيت والمبرد وثعلب... وغيرهم.

وفي هذه العجالة سوف نتعرف بهذا اللغويّ الكبير، ونركّز على جانب من آرائه اللغوية في معجم لسان العرب.

طبيعة هذا البحث اقتضت تقسيمه على مبحثين، درست في الأول حياة أبي طالب النحويّ، وفي الثاني بعضا من آثاره في معجم اللسان، وقد قسّمت المبحث الأخير على ثلاثة مطالب، الأول خصصته بالاشتقاق، والثاني كان في الكليات ويشمل الفروق اللغوية وتخصيص العام، أما المطلب الثالث فدرست فيه ماخرج عن أصل الوضع اللغويّ ويشمل المجاز والاستعارة والكناية.

وأخيرا أقول: هذه السطور القليلة لا تقوم بحق هذا العلم لكنها تبرز جانبا من جهوده في خدمة لغة القرآن الكريم.

والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: حياته*:

اسمه ونسبه:

المفضل بن سلمة بن عاصم الضبي الكوفي.

لقبه:

اتفقت المصادر على أن لقب المفضل هو أبو طالب[١].

والده:

سلمة بن عاصم أبو محمد البغدادي النحوي المقرئ، راوية الفرّاء، حدّث عن أحمد بن يحيى ثعلب (٢٩١هـ)، وكان أديباً فاضلاً.

قال ثعلب: كان سلمة حافظاً لتأدية ما في الكتب.

له كتاب في معاني القرآن، قال عنه أبو بكر الأنباري (٣٢٨هـ): كتاب سلمة أجود الكتب؛ لأن سلمة كان عالما، وكان لا يحضر مجلس الفرّاء يوم الإملاء، ويأخذ المجالس ممّن يحضر ويتدبّرها، فيجد فيها السهو، فيناظر عليها الفرّاء، فيرجع عنه. توفي بعد السبعين ومائتين[٢].

ابنه:

محمد بن المفضل بن سلمة أبو الطيب البغداديّ الشافعيّ العلامة، من كبار فقهاء الشافعية ومتقدميهم، أخذ الفقه عن أبي العباس بن سُرَيج (٣٠٣هـ)، كان موصوفاً بفرط الذكاء ويتمتع

---

*ترجمته في: الفهرست ١١٦ وفهرسة ما رواه ابن خير الاشبيلي عن شيوخه ٥٧، وإنباه الرواة ٣ :٣٠٥_٣١١، ووفيات الأعيان ٣: ٥٥١، وسير أعلام النبلاء ١٤ :٣٦٢، وبغية الوعاة٢ :٢٤٧، وكشف الظنون٢١٦ و ١٠٩١، وهدية العارفين ٤٦٨، ومعجم المؤلفين ١٢ :٣١٤، والمعجم المفصل في اللغويين العرب ٢: ٢٨٤.

[١]ينظر: المصادر السابقة.

[٢]ينظر: طبقات النحويين واللغويين ١٣٧، وإنباه الرواة ٢: ٥٦، وغاية النهاية ١ :٢٨٢.

بذهن وقّاد، صنّف العديد من الكتب، وله وجوه في المذهب الشافعي. توفي في المحرّم سنة ثَمان وثلاثمائة وهو غضّ الشباب[١].

وخلاصة القول ما ذكره ابن خلكان (٦٨١هـ) "وهم أهل بيت كلهم علماء نبلاء مشاهير، رحمهم الله تعالى! "[٢].

شيوخه:

أخذ أبو طالب النحويّ الحديث والقراءات وعلوم العربية الأخرى عن كثير من الشيوخ، وأبرز شيوخه الذين ذكرتهم المصادر:

١. الأصمعي (٢١٦هـ).

٢. ابن الأعرابي (٢٣١هـ).

٣. ابن السِّكّيت (٢٤٤هـ).

٤. أبوه (سلمة بن عاصم).

٥. ثعلب.

٦. عمر بن شَبَّة[٣].

٧. محمد بن شداد المِسْمَعِيّ[١].

---

[١] ينظر: وفيات الأعيان ٣: ٣٤٣، وسير أعلام النبلاء ١٤: ٣٦١.

[٢] وفيات الأعيان ٣: ٣٤٤.

[٣] عمر بن شبَّة بن زيد بن رائطة، أبو زيد النُميريّ البصريّ النحويّ، العّلامة الأنياريّ الحافظ الحجة، صاحب التصانيف، توفي سنة (٢٦٢هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء ١٢: ٣٦٩، والبداية والنهاية ١١: ١٠٥.

٨. يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل[٢].

تلامذته:

أخذ عن أبي طالب النحوي الكثير من طلبة العلم، وقد ذكرت المصادر بعضاً من هؤلاء وهم:

١. محمد بن أبي جعفر، أبو الفضل المنذري (٣٢٩هـ)، روى الكثير عن أبي طالب، وقد نقل الأزهري (٣٧٠هـ) العديد من هذه المواضع في معجم تهذيب اللغة[٣].

٢. محمد بن أبي يحيى الصولي (٣٣٥هـ)، زعم أنه سمع منه في سنة (٢٩٠هـ)[٤].

٣. عيسى بن مردان الكوفي، أبو موسى[٥].

مصنفاته:

كان أبو طالب كثير التصانيف في العلوم المختلفة، وقد خلّف لنا ثروة لغوية كبيرة، وقد أشار ابن النديم في الصفحة ١١٦ من كتاب الفهرست إلى كثير من مصنفاته، وسوف نوردها هنا حسب الترتيب الهجائي:

١. آلة الكاتب.

---

[١]محمد بن شداد بن عيسى، أبو يعلى المِسْمَعِيّ البَصريّ، ثم البغداديّ، المتكلم المعتزليّ، توفي سنة (٢٧٩هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء ١٣: ١٤٨.

[٢] يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن كامجر، مروزيّ الأصل، حدث عن أبيه، روى عنه المفضل بن سلمة. ينظر: تأريخ بغداد ٢:٥٠.

[٣]ينظر: الوافي في الوفيات ١: ٢٧١.

[٤]ينظر: إنباه الرواة ٣: ٣٠٦، ووفيات الأعيان ٣: ٣٤٣.

[٥]ينظر: إلفهرست ١١١.

٢. الاشتقاق.

٣. الأنوار والبوارح.

٤. البارع في علم اللغة[١].

٥. جلاء الشبهة.

٦. الخط والقلم.

٧. خلق الإنسان.

٨. الرد على الخليل وإصلاح ما في العين من الخطأ والمحال والتصحيف.

٩. الزرع والنبات والنحل وأنواع الشجر.

١٠. ضياء القلوب في معاني القرآن. نيّف وعشرون جزءاً.

١١. الطيف.

١٢. عمائر القبائل.

١٣. العود والملاهي[٢].

١٤. الفاخر فيما يلحن فيه العامة[٣].

١٥. المدخل إلى علم النحو.

١٦. المطيب.

---

[١] وهو مخطوط. ينظر: الأعلام ٧: ٢٧٩.

[٢] وهو مطبوع. ينظر: المصدر نفسه.

[٣] وهو مطبوع في ليدن سنة ١٩١٥. ينظر: إنباه الرواة ٣: ٣٠٦، ومعجم المطبوعات ٢: ١٧٧٠، والأعلام ٧: ٢٧٩.

١٧. معاني القرآن. مفرد.

١٨. المقصور والممدود.

مذهبه النحوي:

أجمعت المصادر على أن أبا طالب النحويّ كوفي المذهب. قال ابن النديم (٣٨٥هـ): "لغوي عالم كوفي المذهب"[١]، ولعلّ كوفيّته هي التي جعلته يردّ على إمام البصريين الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ) في معجم العين في كتاب سمّاه (الردّ على الخليل وإصلاح ما في العين من الخطأ والمحال والتصحيف)، قال السيوطي (٩١١هـ) عن الكتاب الأخير:" ردّ (أي أبو طالب) أشياء من كتاب العين أكثرها غير مردود"[٢]، ولعلّ بعض ردوده على الخليل كانت صائبة، ودليلنا على ذلك أنه:" لما قرأ ابن مقلة (٣٢٨هـ) هذا الكتاب على ابن دريد (٣٢١هـ) كان ابن دريد يقول في بعض ما ردّه: صَدَق أبو طالب، وفي بعض الردّ يقول: كَذَبَ أبو طالب"[٣].

شعره:

لأبي طالب النحوي شعر كثير ذكرت المصادر التي ترجمت له طرفاً منه، ومن ذلك ما قاله في مدح أبي الحسن عليّ بن يحيى المنجِّم[٤]في عيد النوروز [من البسيط]

يا ابن الجحاجحة الغرّ الميامين ومن يزين به فعل الدهاقينِ

ومَن تجود على العافين راحته بنائل من عطاء غير ممنونِ

إلى قوله:

وانعم بأحمدَ أبقاه الإله لنا فهو الأغرّ من الغرِّ الميامين

---

[١] الفهرست ١١٦، وينظر: إنباه الرواة ٣: ٣٠٦، ووفيات الأعيان ٣: ٣٤٣، وبغية الوعاة ٢: ٢٤٧.

[٢]بغية الوعاة ٢: ٢٤٧.

[٣] إنباه الرواة ٣: ٣٠٦.

[٤] علي بن يحيى بن أبي منصور المنجِّم، كان نديم المتوكل، راوية للأشعار والأخبار، له مصنفات، مات سنة (٢٥٧هـ).ينظر: وفيات الأعيان ١: ٣٥٦.

وقرَّ عيناً بعبد الله إن له مُشابهاً منك تُعْلِيه على الهونِ

واسعَدْ بثالثهم يحيى فإنّ له فَعالَ مقتبل الخيرات ميمونِ

وتَمَّمَ الله ما ترجو وتأمله عليك في رابع السادات هارونِ[١]

ومن شعره ما كتبه إلى عبد الله بن المعتز (٣٠٦هـ) وقد انصرف أبو طالب من الحجّ: [من الكامل]

إلى الله أشكو ما ألاقي من الجوى ومن طول وجدٍ تحتويه الضمائرُ

وقد طال ليلي بَعْدَ بُعْد أحِبَّتي وما طولُه إلا لأنّيَ ساهرُ

إذا هبّت الريحُ الشَّمالُ هفا لها فؤادي حنيناً نحوهم فهو طائِرُ

يجدِّد لي شوقاً إليهم وفرحةً بقربِيَ منهم أن تسيرَ الأباعِرُ[٢]

ثناء العلماء عليه:

استطاع أبو طالب النحويّ أن يضع له موطئ قدم بين علماء كبار حفلت بهم تلك الحقبة من الزمن، لذلك كان محل ثناء العلماء ممّن عاصروه وممن جاؤوا بعده، وإليك جانباً من هذا الثناء.

قال ابن النديم: "لغوي عالم كوفي المذهب مليح الخط[٣]"، وقال القفطي (٦٢٤هـ): "وكان فهماً فاضلاً"[٤]، وقال ابن خلكان (٦٨١هـ): "اللغوي، صاحب التصانيف المشهورة في فنون

---

[١] ينظر: إنباه الرواة ٣: ٣٠٨.

[٢] المصدر نفسه ٣: ٣٠٩.

[٣] الفهرست ١١٦.

[٤] إنباه الرواة ٣: ٣٠٦.

الأدب ومعاني القرآن"[١]، وقال الذهبيّ "لغوياً، اديباً، علّامة، له تصانيف في معاني القرآن والآداب"[٢].

وفاته:

انتهت المسيرة العلمية لهذا العالم بوفاته التي لم يعلم تأريخها على وجه دقيق، فقسم من المصادر جزم بأنها سنة (٢٩٠هـ) [٣]، ومن المصادر مَن أشار إلى أن أبا بكر الصولي سمع منه سنة (٢٩٠هـ) [٤]، ومنها مَن لم يتطرق إلى تأريخ وفاته كالسيوطي في بغية الوعاة، وبعد عرض هذه التفصيلات يتبين أن تأريخ وفاته كانت بعد(٢٩٠هـ) [٥]وأنه كان حياً في هذه السنة والله أعلم.

---

[١] وفيات الأعيان ٣: ٣٤٣.

[٢] سير أعلام النبلاء ١٤: ٣٦٢.

[٣] ينظر: كشف الظنون ٢١٦، وهدية العارفين ٤٦٨.

[٤] ينظر: إنباه الرواة ٣: ٣٠٧، ووفيات الأعيان ٣: ٥٥١.

[٥] ينظر: سير أعلام النبلاء ١٤: ٣٦٢، ومعجم المؤلفين ١٢: ٣١٤.

المبحث الثاني: جهوده في لسان العرب

المطلب الأول: الاشتقاق

تعريف الاشتقاق: اقتطاع فرع من أصل يدور في تصاريفه على الأصل[١]. أو: هو نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنى وتركيباً، ومغايرتهما في الصيغة[٢].

أنواعه:

١- الاشتقاق الصغير: أن يكون بين اللفظين تناسب في الحروف والتركيب، نحو: ضَرَبَ من الضَرْب. وهذا هو المقصود من الاشتقاق عندما تطلق الكلمة مجردة.

٢- الاشتقاق الكبير: هو أن يكون بين اللفظين تناسب في اللفظ والمعنى دون الترتيب، نحو: جَذَبَ من الجذب.

٣- الاشتقاق الأكبر: هو أن يكون بين اللفظين تناسب في المخرج، نحو: نَعَقَ من النَّهق[٣].

والأصل الذي يشتق منه يقصد به الحروف الموضوعة على المعنى وضعاً أزلياً. أما الفرع فهو لفظ يوجد فيه تلك الحروف مع نوع تغيير ينضم إليه معنى زائد على الأصل. فـ (الضرب) أصل وهو يدل على الحركة المعلومة المسماة ضرباً ولا يدل على معنى أكثر من

---

[١] رسالة الحدود ٥.

[٢] التعريفات ٢٢.

[٣] ينظر: المصدر نفسه ٢٢.

ذلك، أما (ضَرَبَ ويضرِب وضارب ومضروب) فهي فروع فيها حروف الأصل (ض ر ب) وزيادات تدل على الضرب وعلى معنى آخر وهو الزمن وكذلك القائم بالفعل[١].

مصادر الاشتقاق[٢]:

الاشتقاق قد يكون من الحدث أو من الفعل أو من اسم المعنى أو من الجذر، وهذا ما سنوضحه فيما يأتي:

أولاً: الاشتقاق من الحدث:

والحدث هو المصدر واسم المصدر، فالمصدر: كل اسم دلّ على حدث وزمان مجهول[٣]. أو: هو الاسم الذي اشتق منه الفعل وصدر عنه[٤].

أما اسم المصدر: فهو اسم لمعنى وليس له فعل يجري عليه كالقهقرى، إذ لا فرع له يجري عليه من لفظه[٥].

وقد أورد صاحب اللسان بعض الأمثلة على هذا الاشتقاق عن أبي طالب النحوي. نذكر منها:

١- في مادة (حكم)، جاء في اللسان: " وروى المنذريّ عن أبي طالب أنه قال في قولهم (حكم الله بيننا): قال الأصمعي: أصل الحكومة ردّ الرجل عن الظلم، قال: ومنه سميت حَكَمَة اللجام لأنها تردّ الدابّة"[٦].

فـ (حكم) اشتق من المصدر (الحكومة).

٢- في مادة (سلل)، جاء في اللسان: " قال المفضل بن سلمة وقد ذكر إلياس النبيّ -عليه السلام-: فأما إلياس بن مضر فألفه ألف وصل، واشتقاقه من اليأس وهو السُّلُّ"[١].

---

[١] ينظر: الأشباه والنظائر ١:٨٣ .

[٢] هناك مسألة خاض فيها العلماء قديما وحديثا، وهي مسألة أصل المشتقات، فذهب البصريون إلى أن المصدر هو أصل المشتقات، وذهب الكوفيون إلى أن الفعل هو الأصل، ولا يتسع المقام هنا لتفصيل المسألة وهي مبسوطة في كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف١:٢١٧ وما بعدها.

[٣] ينظر: اللمع في العربية ٤٨.

[٤] التعريفات ١٧٦.

[٥] الكليات ١:٨١٥.

[٦] لسان العرب، مادة (حكم)، ١٢:١٤٠.

فـ (إلياس) مشتق من مصدر (يَئِس) وهو (اليأس)[٢].

٣- في مادة (طفل)، جاء في اللسان: "وقال أبو طالب: قولهم الطُّفَيلي، قال الأصمعي: هو الذي يدخل على القوم من غير أن يدعوه مأخوذ من الطَّفَل وهو إقبال الليل على النهار بظلمته"[٣].

فكما يُطبِق الليل على النهار بغير استئذان يدخل الطُّفَيليّ على القوم بغير إذنهم، والطفيلي مشتق من الطَّفَل وهو مصدر ليس له فعل[٤].

ثانيا: الاشتقاق من الفعل:

الفعل في اصطلاح النحاة: ما دلّ على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة[٥].وقد يشتق من الفعل، وأورد صاحب اللسان عن أبي طالب بعض المواضع من هذا النوع من الاشتقاق، من ذلك:

١- في مادة (لبب)، جاء في اللسان:" في قولهم (لبّيك وسعديك)...قال أبو طالب وقال الأحمر هو مأخوذ من لبّ بالمكان أي أقام "[٦].

إذن (لبّيك) مشتق من الفعل (لبّ) بالمكان أو بالأمر إذا أقام به ولازمه، أو (ألبّ) به[٧].

٢- في مادة (شجن)، جاء في اللسان حول المثل القائل (الحديث ذو شجون) " قال أبو طالب معناه ذو فنون وتشبُّث بعضه ببعض"[٨].

فلفظة (شجون) اشتقت من (تشجّن) الشجر إذا التفّ، فهي مشتقه من فعل.

ثالثاً: الاشتقاق من اسم المعنى:

---

[١]لسان العرب، مادة (سلل)، ٣٣٨:١١.

[٢]ينظر: الاشتقاق ٣٠:١.

[٣]لسان العرب، مادة (طفل) ٤٠١:١١.

[٤]ينظر: المصدر نفسه.

[٥]شرح الرضي على الكافية ٣٥:١ ،والتعريفات ١٣٧، ومعجم مقاليد العلوم ٨٧.

[٦]لسان العرب، مادة (لبب) ٧٢٩:١.

[٧]ينظر: جمهرة اللغة ٧٦:١، وتهذيب اللغة ٢٤٢:١٥، ومجمل اللغة ٧٩١:١.

[٨]لسان العرب، مادة (شجن) ٢٣٢:١٣.

الاسم عند النحاة ما دل على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة، وينقسم على قسمين: اسم العين : وهو الدال على معنى يقوم بذاته كزيد وعمرو، وإلى اسم معنى : وهو ما لا يقوم بذاته، سواء كان معناه وجودياً كالعِلم أو عدمياً كالجهل[١].

إذن اسم العين يكون وجوده محسوساً ملموساً، أما اسم المعنى فهو معنوي الوجود، ولكن يمكن أن يكون مصدراً للاشتقاق، وقد وردت في اللسان بعض المواضع لهذا الاشتقاق نقلا عن أبي طالب النحوي منها:

١- في مادة (جَحَمَ)، جاء في اللسان:" وروى المنذريّ عن أبي طالب في قولهم (فلان جحّام) (وهو يتجاحم علينا) أي يتضايق، وهو مأخوذ من جاحِم الحرب وهو ضيقها وشدّتها"[٢].

فصيغة المبالغة (جحّام) والفعل (يتجاحم) قد اشتقا من اسم المعنى (جاحِم) النار إذا اشتد اشتعالها، ومنه اشتقاق الجحيم والله أعلم[٣].

٢- في مادة (قنن)، جاء في اللسان:" وقال أبو طالب: قولهم (عبدٌ قِنٌّ) قال الأصمعيّ: القِنُّ الذي كان أبوه مملوكاً لمواليه...وكأن القِنَّ مأخوذ من القِنْيَة وَهي المِلك"[٤].

إذن اسم (القِنّ) مشتق من (القِنْيَةِ) وهي اسم معنى وتعني المِلك[٥].

رابعاً: الاشتقاق من الجذر:

الجذر: هو الأصل من كل شيء من الحساب والنسب والشجر وغيره[٦]. ويقصد بالجذر في اللغة العربية الحروف الأصول من كل كلمة وهي التي تقابل (ف ع ل) في الميزان الصرفي، وما عدا هذه الحروف تعدّ زوائد.

وقد اشتقت العربية من الجذر، فقد روى صاحب اللسان عن أبي طالب النحوي هذا الاشتقاق، قال صاحب اللسان:" وروى المنذريّ عن أبي طالب أنّه قال في (المؤاساة) واشتقاقها:

---

[١] التعريفات ٢٠.

[٢] لسان العرب، مادة (جحم) ٨٤:١٢.

[٣] ينظر: جمهرة اللغة ٤٤١:١، والزاهر ١٢١:١، والمحكم ٩٦:٣.

[٤] لسان العرب، مادة (قنن) ٣٤٨:١٣.

[٥] ينظر: الزاهر ١٦١:١، وتهذيب اللغة ٢٣٥:٨، وأساس البلاغة ١٠٥:٢.

[٦] مشارق الأنوار ١٤٣:١.

إن فيها قولين،أحدهما: أنها من آسى يؤاسي من الأسوة وهي القدوة، وقيل إنها من أساه يأسوه إذا عالجه وداواه"[١].

فأبو طالب عدّ (المؤاساة) مشتقة من جذرين: (آسى يؤاسي) وهو فعل رباعي على وزن (فاعَلَ يُفاعِل)، أو من (أسا يأسو) وهو فعل ثلاثي على وزن (فَعَلَ يَفْعُلَ).

المطلب الثاني: الكليات

ويشتمل هذا المطلب على فقرتين: الفروق اللغوية ، وتخصيص العام ،وسنوجز هاتين الفقرتين في الآتي:

أولاً: الفروق اللغوية:

وهو عِلمٌ جليل يُعنى بتمييز المفردات المتقاربة في المعنى التي تبدو مترادفة إذا نُظِر إليها من غير تدقيق[٢].

وإذا طالعنا في معجم لسان العرب وجدنا مؤلفه يسوق الكثير من هذه الأمثلة عن أبي طالب تتعلق بهذا الموضوع:

١- في مادة (درج) جاء في اللسان:" أبو طالب في قولهم (أحسن مَن دبَّ ودَرَجَ) فدبّ مشى ودَرَجَ مات"[٣].

فأبو طالب هنا فرّق بين لفظتي (دَبَّ ودَرَجَ) مع أن الملاحظة السطحية توحي بأنهما مترادفتان، ولكن بالملاحظة الدقيقة نرى أنهما متعاكستان في المعنى، فالأُولى تدلّ على الحياة والثانية تدلّ على الموت، فالذي يُطلق عليه هذا القول (أحسن من دبّ ودرج) هو أحسن الأحياء والأموات[٤].

---

[١]لسان العرب، مادة (أسا) ٣٤:١٤.

[٢]ينظر: معجم الفروق اللغوية ٣.

[٣]لسان العرب، مادة (درج) ٢٦٦:٢.

[٤]ينظر: إصلاح المنطق ٢٢٤:١، وغريب الحديث (ابن قتيبة) ٥٠٣:٢، وتهذيب اللغة ٣٤٢:١٠.

٢- في مادة (ميط)، جاء في اللسان:" وقال أبو طالب بن سلمة: قولهم: (مازلنا بالهياط والمياط) قال الفرّاء: الهياط أشدّ السَّوق في الوِرْد، والمِياط أشدّ السَّوق في الصدر، ومعنى ذلك بالمجيء والذهاب"[١].

فالهياطُ الدنوّ والتقارب، والمياطُ التباعد، لذلك استعمل الأوّل في شدّة سَوق الإبل في حال العودة من السفر دلالة على التقارب والدنوّ من الأهل، واستعمل الثاني في شدّة سَوق الإبل في حال الذهاب إلى السفر دلالة على التباعد، وكذلك حال الدنيا تقارب وتباعد ومجيء وذهاب[٢].

٣- في مادة (طمم)، جاء في اللسان:" وقال أبو طالب (جاء بالطِّمِّ والرِّمِّ) معناه جاء بالكثير والقليل، والطِّمُّ الماء الكثير، والرِّمُّ ما كان بالياً من العظم وما يُتَقَمَّمُ "[٣].

واختلفت آراء اللغويين في معنى (الطمّ والرمّ) فمنهم من قال: الطمّ ما حمله الماء والرمّ ما حملته الريح[٤]، ومنهم من قال: الطمّ الماء الكثير والرمّ ما حمله الماء من غثاء وغيره[٥]، ومنهم من قال: الطمّ البحر والرمّ ما تساقط من أوراق الشجر البالية[٦]، وخلاصة القول أن مَن أطلق المثل قصد بالطمّ والرمّ الكثير والقليل كما رأى أبو طالب النحويّ.

ثانياً: تخصيص العام:

العام: كون اللفظ موضوعاً بالوضع الواحد لكثير غير محصور مستغرق جميع ما يصلح له[٧]. أو هو: كلّ ما صح الاستثناء منه مما لا حصر فيه[٨].

والعام إما عام بصيغته ومعناه كالرجال، وإما عام بمعناه فقط كالرهط والقوم و (جميع) و (كل) و (مَن) و (ما)[٩].

---

[١] لسان العرب، مادة (ميط) ٤٠٩:٧.

[٢] ينظر: العين ٧٦:٤، وتهذيب اللغة ٢٠٠:٦، وتاج العروس ١٢٧:٢٠.

[٣] لسان العرب، مادة (طمم) ٣٧٠:١٢.

[٤] ينظر: المزهر ٣٨٧:١.

[٥] ينظر: غريب الحديث (الخطابي) ٢٩:٢.

[٦] ينظر: الإتباع والمزاوجة ٦٥.

[٧] التعريفات ١١٩.

[٨] الكليات ٦٠٢.

[٩] التعريفات ١٢٠.

أما التخصيص فمعناه: تقليل الاشتراك الحاصل في النكرات، نحو: رجل عالمٍ[١]. فـ (رجل) (رجل) لفظ عام ولكن عندما خصصناه بالعلم قلّ الاشتراك والاشتباه بينه وبين غيره من الرجال.

وقد ورد في لسان العرب عن أبي طالب النحويّ من موضوع تخصيص العام بعض المواضع نذكر منها:

١- في مادة (حجج)، قال صاحب اللسان:" وروى الأزهري[٢] عن أبي طالب في قولهم (ما حجّ ولكنه دجّ) قال: الحجّ الزيارة والإتيان، وإنماّ سميّ حاجّاً بزيارة بيت الله... قال: والداجّ الذي يخرج للتجارة، وفي الحديث " لم يترك حاجّة ولا داجّة "[٣] الحاجّ والحاجّة أحد الحجّاج، والداجّ والداجّة الأتباع يريد الجماعة الحاجّة ومَن معهم من أتباعهم"[٤] .

فالداجّ والداجّة في النص لفظ عام وهم الحجّاج ومَن معهم من الاتباع، والحاجّ والحاجّة أخص منه لأنه يَعني أحد الحجاج فقط.

٢- في مادة (قضض)، جاء في اللسان:" قولهم (جاء بالقضّ والقضيض) فالقضّ الحصى، والقضيض ماتكسَّر منه ودقّ "[٥].

فقوله (القضّ) لفظ عام يدلّ على الحصى، أما القضيض فهو أخصّ منه، ومعنى المثل أنه جاء بالكبير والصغير[٦].

---

[١]المصدر نفسه ٤٣.

[٢]ينظر: تهذيب اللغة ٣:٢٥٠.

[٣]جامع المسانيد والسنن ٤:٢٤٨ (٥٢١٨) ، والمطالب العالية ١٢:٢٧٠ (٢٨٦٣).

[٤]لسان العرب، مادة (حجج) ٢:٢٢٦.

[٥]لسان العرب، مادة (قضض) ٧:٢١٩.

[٦]ينظر: الزاهر ١:٣٦٧ ، والقاموس المحيط، مادة (قض) ١:٦٥٢.

المطلب الثالث: ماخرج عن أصل الوضع اللغوي

ويشتمل هذا المبحث على ثلاثة فروع، الأول: المجاز ، والثاني: الاستعارة ، والثالث: الكناية.

الفرع الأول: المجاز

الأصل في الكلام أن يستعمل فيما وضع له في اللغة ، ولكن قد يخرج هذا الاستعمال إلى غير وضع اللغة، فإذا ما أقر الكلام في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة فهذا هو الحقيقة، فإذا عُدِل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز[١].

وقد ورد في لسان العرب موضع واحد نقله صاحبه عن أبي طالب النحوي استعمل فيه المجاز. جاء في اللسان:" في قول الشاعر اللَّهَبيّ:

وأنا الأخضرُ مَن يعرفني أخضرُ الجِلْدَةِ في بيت العَرَبْ

التهذيب: في هذا البيت قولان: أحدهما أنه أراد أسود الجِلدة قال: قاله أبو طالب النحويّ"[٢].

فالمجاز هنا هو استعمال الأخضر للأسود، وهذا كقولهم لأهل العراق أهل السواد لخضرة أرضهم وغنائها بالشجر، والعرب تطلق الخضرة على السواد[٣].

الفرع الثاني: الاستعارة

عرّف الجاحظ الاستعارة بأنها تسمية الشيء باسم غيره[٤]. وقال غيره: " هو أن يستعار للشيء اسم غيره أو معنى سواه كقول امرئ القيس في صفة الليل فاستعار وصف جمل:

فقلت له لما تمطّى بصُلبه وأردف اعجازاً وناءَ بكلكل"[٥] .

---

[١] ينظر: الخصائص ٤٤٢:٢، ودلائل الإعجاز ٢٧٦، ومفتاح العلوم ٣٥٩:١، والإيضاح في علوم البلاغة ١١٦:١.

[٢] لسان العرب، مادة (خضر) ٢٤٣:٤.

[٣] ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٢:٢، وتاج العروس، مادة (خضر) ١٨١:١١.

[٤] ينظر: البيان والتبيين ١٤٢:١.

[٥] قواعد الشعر ٥٣.

فالاستعارة إذن أن تأخذ صفة لشيء ما وتُلحِقها بشيء آخر كقولك (طار زيدٌ من الفرح) فاستعرت لزيد صفة من صفات الطائر وهي الطيران.

وقد ورد في اللسان موضع لهذه الظاهرة البلاغية نقلها صاحبه عن أبي طالب النحوي، قال صاحب اللسان: " وقال أبو طالب (أقرّ الله عينه) أنام الله عينه، والمعنى صادف سروراً يُذهب سهره فينام، وأنشد:

أقرّ به مواليك العيونا

أي: نامت عيونهم لما ظفروا بما أرادوا "[١].

فاستعار للعين صفة من صفات الشيء الساكن وهو القرار أو الاستقرار، وهي استعارة مَكْنيّة لأنّ المشبّه به كُنِّي عنه ولم يُصَرَّح به.

الفرع الثالث: الكناية

عرّفها عبدالقاهر الجرجاني تعريفاً جامعاً مانعاً بقوله: "الكناية أن يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلاً عليه، مثال ذلك قولهم: هو (طويل النجاد) يريدون طويل القامة، (وكثير رماد القِدر) يعنون كثير القِرى، وفي المرأة (نؤوم الضحى) والمراد انها مترفة مخدومة لها مَن يكفيها أمرها "[٢].

إذن الكناية هي" أن لا نعبر عن الشيء بظاهر ما وضع له من تعابير"[٣].

وقد ورد في لسان العرب موضع واحد لهذا الأسلوب البلاغي نقله صاحبه عن أبي طالب النحويّ، إذ جاء في اللسان:" قال أبو طالب: إنّما قالوا (أنا النذيرُ العُريان) لأن الرجل إذا رأى الغارة قد فَجِئتهم وأراد إنذار قومه تجّرد من ثيابه وأشار بها ليُعلم أن قد فَجِئتهم الغارة ثم صار مثلاً لكل شيء تخاف مفاجأته"[٤].

---

[١] لسان العرب، مادة (قرر) ٥:٨٢.

[٢] دلائل الإعجاز ٦٦. وينظر: التعريفات ١٥٣.

[٣] البلاغة والتطبيق ٣٦٧.

[٤] لسان العرب، مادة (نذر) ٥:٢٠٠.

إذن تجرُدُ الرجل من ثيابه (العري) وإشارته بها كناية عن الخطر المحدق الذي يفجأ قومه ،فهذه (كناية عملية) إن استطعنا استعمال هذا المصطلح، ثم استعملت هذه الكناية بشكل نظري فأصبح المثل يعبر به عن كل خطر.

وقد استعمل البلاغيون المتأخرون هذا الوجه من الكناية وعبروا عنه بألفاظ مثل: التعريض والتلويح والرمز والإيماء (الإشارة)[١]

---

[١]ينظر في تفصيل هذه المصطلحات والفرق بين كل مصطلح وآخر: البلاغة والتطبيق ٣٧٣ وما بعدها.

الخاتمة والنتائج

توصل هذا البحث إلى النتائج الآتية:

١. أبو طالب النحويّ لغويّ كوفيّ كبير، له مؤلفات كثيرة تدلّ على تبحره وسعة علمه وطول باعه في اللغة.
٢. نقل أبو طالب عن سابقيه كالفرّاء والأصمعيّ وخلف الأحمر وغيرهم.
٣. نقل عنه أهل المعاجم كابن دريد في جمهرة اللغة والأزهريّ في تهذيب اللغة وابن فارس في مجمل اللغة وابن منظور في اللسان الكثير من الآراء اللغوية.
٤. أغلب المواضع المنقولة عنه في لسان العرب تدور حول معنى مَثَّل من أمثال العرب، لأن له- كما ذكرنا- كتابا في الأمثال.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وسلم تسليما كثيرا.

المصادر والمراجع

- الإتباع والمزاوجة، أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)، تحـ:كمال مصطفى، مكتبة الخانجي . القاهرة.
- أساس البلاغة،الزمخشري (٥٣٨هـ)، تحـ: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية . بيروت،ط ١ . ١٩٩٨.
- الأشباه والنظائر، السيوطي (٩١١هـ)، دار الكتاب العربي . بيروت ، ط١.٢٠٠٣.
- الاشتقاق، ابن دريد (٣٢١هـ) ، تحـ: عبد السلام هارون،دار الجيل . بيروت ، ط١ . ١٩٩٦.
- إصلاح المنطق، ابن السكيت (٢٤٤هـ) ، تحـ: محمد عوض مرعب،دار إحياء التراث العربي . بيروت، ط١ .٢٠٠٢.
- الأعلام،الزركلي (١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين . بيروت، ط١٥ .٢٠٠٢.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة، علي بن يوسف القفطي(٦٤٦هـ)، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية . صيدا ،٢٠٠٩.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين،أبو البركات الأنباري (٥٧٧هـ)، قدم له : حسن حمد، دار الكتب العلمية . بيروت ، ط١ . ١٩٨٨.
- الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين القزويني(٧٣٩هـ)، تحـ: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل . بيروت، ط٣.
- البداية والنهاية، ابن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ)، تحـ: مصطفى بن العدوي، دار ابن رجب . القاهرة، ط١ . ٢٠٠٦.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي(٩١١هـ)، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية . صيدا، ط١ . ٢٠٠٦.
- البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب ود. حسن البصير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ط٢ . ١٩٩٩.

- البيان والتبيين، الجاحظ (٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال . بيروت، ١٤٢٣هـ.
- تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي(١٢٠٥هـ)، تحـ: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تأريخ بغداد، الخطيب البغدادي(٤٦٣هـ)، تحـ: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي . بيروت، ط١ .٢٠٠٢.
- التعريفات، الشريف الجرجاني(٨١٦هـ)، دار إحياء التراث العربي . بيروت، ط١ .٢٠٠٣.
- تهذيب اللغة، الأزهري(٣٧٠هـ)، تحـ: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي . بيروت، ط١ .٢٠٠١.
- جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوم سنن، ابن كثير الدمشقي (٧٧٤هـ)، تحـ: د.عبد الملك بن عبد الله الدهيش، دار خضر للطباعة والنشر . بيروت، ط٢ . ١٩٩٨.
- جمهرة اللغة، ابن دريد(٣٢١هـ)، تحـ: رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين . بيروت، ط١ .١٩٨٧.
- الخصائص، ابن جني(٣٩٢هـ)، تحـ: محمد علي النجار، عالم الكتب . بيروت.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني(٤٧١هـ)، تحـ: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني . القاهرة ودار المدني . جدة، ط٣ .١٩٩٢.
- رسالة الحدود، الرماني(٣٨٤هـ)، تحـ: إبراهيم السامرائي، دار الفكر . عمان.
- الزاهر في معاني كلمات الناس،أبو بكر الأنباري(٣٢٨هـ)، تحـ: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة . بيروت، ط١ .١٩٩٢.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي(٧٤٨هـ)، تحـ: مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة . بيروت، ط٢ .٢٠٠٨.
- شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الاستراباذي(٦٨٦هـ)، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس١٩٧٨.
- طبقات النحويين واللغويين، أبو بكر الزبيدي(٣٧٩هـ)، تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف . مصر،١٩٧٣.

- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي(١٧٠هـ)، تحـ: إبراهيم السامرائي ومهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال . بيروت.
- غريب الحديث، ابن قتيبة(٢٧٦هـ)، تحـ: أحمد صقر، دار الكتب العلمية . بيروت، ١٩٧٨.
- غريب الحديث، الخطابي(٣٨٨هـ)، تحـ: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، دار الفكر . بيروت، ١٩٨٢.
- الفهرست، ابن النديم(٣٨٠هـ)، ضبطه: يوسف الطويل، دار الكتب العلمية . بيروت، ط٢ . ٢٠٠٢.
- فهرسة ما رواه ابن خير الإشبيلي عن شيوخه، ابن خير الإشبيلي(٥٧٥هـ)، مكتبة الخانجي . القاهرة، ط٣ . ١٩٩٧.
- القاموس المحيط، الفيروزآبادي(٨١٧هـ)، تحـ: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة . بيروت، ط٨ . ٢٠٠٥.
- قواعد الشعر، ثعلب(٢٩١هـ)، تحـ: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي . القاهرة، ط٢ . ١٩٩٥.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة(١٠٦٧هـ)، دار إحياء التراث العربي . بيروت.
- الكليات، أبو البقاء الكفوي(١٠٩٤هـ)، تحـ: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة . بيروت.
- اللمع في العربية، ابن جني(٣٩٢هـ)، تحـ: فائز فارس، دار الكتب الثقافية . الكويت.
- مجمل اللغة، أحمد بن فارس(٣٩٥هـ)، تحـ: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة . بيروت، ط٢ . ١٩٨٦.
- المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده(٤٥٨هـ)، تحـ: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية . بيروت، ط١ . ٢٠٠٠.

- المزهر، السيوطي(٩١١هـ)، تحـ: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية . بيروت، ط١ . ١٩٩٨.
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي عياض(٥٤٤هـ)، المكتبة العتيقة ودار التراث.
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، تحـ: مجموعة من المحققين، دار العاصمة . السعودية، ط١ . ١٤١٩هـ .
- معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري(٣٩٥هـ)، تحـ: بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي . قم، ط١ . ١٤١٢هـ.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي . بيروت.
- معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف سركيس(١٣٥١هـ)، مطبعة سركيس . مصر، ١٩٢٨.
- المعجم المفصل في اللغويين العرب، إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية . بيروت، ط١ . ١٩٩٧.
- معجم مقاليد العلوم، السيوطي(٩١١هـ)، تحـ: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب . القاهرة، ط١ . ٢٠٠٤.
- مفتاح العلوم، السكاكي(٦٢٦هـ)، ضبطـ: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية . بيروت، ط٢ . ١٩٨٧.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير الجزري(٦٠٦هـ)، تحـ: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، دار الكتب العلمية . بيروت، ١٩٧٩.
- هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي(١٣٣٩هـ)، وكالة المعارف . اسطنبول ١٩٥١، أعادت طبعه دار إحياء التراث العربي . بيروت.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي(٧٦٤هـ)، تحـ: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي . بيروت، ٢٠٠٠.

• وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان(٦٨١هـ)، تحـ: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية . القاهرة، ط١ . ١٩٤٨.